

حول الدولة و الإنتيليجينسيا

يوسف فيساريونوفتش ستالين

ترجمه: عبد المطلب العلمي / راجعه ونقحه الصوت الشيوعي

٤. بعض المسائل النظرية

من بين العيوب في دعايتنا و عملنا الايدلوجي هو غياب الوضوح التام بين رفاقنا حول مسائل معينة في النظرية، لها أهمية عملية كبيرة، وهناك بعض الالتباس في هذا الصدد. وأعني بذلك مسألة الدولة بشكل عام، و حول دولتنا الاشتراكية، بشكل خاص. و كذلك حول الإنتيليجينسيا السوفياتية.

أحيانا يتسألون، تم تدمير الطبقات المستغلة، ولم يعد هناك طبقات معادية في البلاد، لا حاجة لوجود القمع، اذن ليست هناك حاجة للدولة، الدولة يجب أن تزول. لماذا لا نسعى لاضمحلال دولتنا الاشتراكية، لماذا لا نحاول أن نتخلص منها، اما حان الوقت للتخلص من ركام الدولة بالكامل؟

أو بشكل آخر: "لقد دُمرت الطبقات المستغلة، و لقد تم بناء الاشتراكية بشكل اساسي، نحن نسير نحو الشيوعية، والنظرية الماركسية حول الدولة تقول، أنه في ظل الشيوعية لا يجب أن تكون هناك دولة – لماذا لا نعمل في اتجاه تعزيز اضمحلال دولتنا الاشتراكية، ألم يحن الوقت لادخال الدولة الى متحف للآثار؟".

هذه الأسئلة تشير إلى أن اصحابها حفظوا بامانه بعض أحكام تعاليم ماركس وإنجلز حول الدولة. لكن تشير أيضا الى أن هؤلاء الرفاق لا يفهمون جوهر هذه التعاليم، لا يفهمون، في اية ظروف تاريخية استنبطت أحكام معينة في تلك التعاليم، وخصوصا لا يفهمون الوضع الدولي الراهن، يتغاضون عن حقيقة الحصار

الرأسمالي والأخطار الناجمة عن ذلك بالنسبة لبلد الاشتراكية. في هذه المسائل، يظهر ليس فقط تبخيس حقيقة الطوق الرأسمالي. بل يظهر أيضا التقليل من دور وأهمية الدول البرجوازية ودوائرها، التي ترسل الجواسيس و القتلة و المخربين الى بلدنا، و يحاولوا انتهاز الفرصة لشن هجوم عسكري عليها، وكذلك التقليل من دور وأهمية دولتنا الاشتراكية و سلطاتها القمعية و الحربية و الاستخبارية، السلطات اللازمة لحماية البلاد الاشتراكية من الهجمات الخارجية. يجب أن نعلن أن هذا التبخيس ليس فقط خطأ الرفاق المذكورين. بل إلى حد ما مخطئ كل واحد منا، جميع البلاشفة دون استثناء. اليس من المستغرب أن النشاطات التجسسية و التأميرية للثروتسكيين و البوخارينيين علمنا بها مؤخرا فقط، في الاعوام ١٩٣٧ - ١٩٣٨، على الرغم من انه كما يتبين من المواد، هؤلاء السادة انخرطوا في تنظيمات التجسس الأجنبية و قاموا بانشطة تأمرية منذ الأيام الأولى لثورة أكتوبر؟^(١) كيف اننا لم ننتبه الى هذا الأمر الخطير؟^(٢) كيف يمكن تفسير هذا الخطأ؟ عادة تتم الاجابة

١ - "منذ الأيام الأولى لثورة أكتوبر" عجيب!! هل يعقل أن يكون ثروتسكي مؤسس و قائد الحرس الأحمر للعمال و الفلاحين، نواة الجيش الأحمر السوفيياتي، و مؤسس هذا الجيش العظيم وقائده في المعارك ضد الحرس الأبيض و المتدخلين الامبرياليين، هل يعقل أن يكون جاسوس و "منذ الأيام الأولى لثورة أكتوبر"!!؟ و اذا كان جاسوس فكيف قاد عمال المصانع المسلحين من فصائل الحرس الأحمر للاستيلاء على قصر الشتاء!!؟ و اذا كان بوخارين جاسوس و "منذ الأيام الأولى لثورة أكتوبر" فكيف وقع على قرار القيام بثورة أكتوبر!!؟ نعم لقد ارتكب بوخارين اخطاء في طرحه لبرنامج خاطيء، يقوم على التطور الاقتصادي البطيء بالاعتماد على مواصلة سياسة النيب لفترة طويلة، كبديل عن برنامج التصنيع السريع للاتحاد السوفيياتي الذي قدمه ستالين. لكن هذا لا يعني انه خائن. فقط وجهة نظر خاطئة. ألم يرتكب ستالين اخطاء تجاه الثورتين الصينية و الاسبانية؟ ألم يرتكب ستالين خطأ تاريخيا بالاعتراف بالكيان الصهيوني و اعتباره قاعدة امامية لنشر التقدم في الوطن العربي و الشرق الأوسط؟ فهل يعني ذلك ان ستالين جاسوس و "منذ الأيام الأولى لثورة أكتوبر"!!؟ الى هذا المستوى من التلفيق وصلت اليه السلطة السوفييتية في عهد ستالين. ان مكتبة الشيوعيين العرب اذ تنشر هذا النص فانها تستهدف بذلك الاستفادة من الافكار الصحيحة والمفيدة الواردة فيه فيما يتعلق بمسألة المثقفين و دورهم في الثورة و التي تمثل تطويرا للنظرية الشيوعية المجيدة الخالدة، و هي لا تتفق مع ما ورد فيه من تليفقات باطلة وتهم زور. - ملاحظة الصوت الشيوعي.

٢ - كان من الاجدر بستالين أن ينتبه الى كون "بريا"، وزير الأمن، الذي جلبه هو نفسه الى هذا المنصب، ليس سوى جاسوس للمخابرات الأمريكية. و من الجدير بالذكر هنا الى ان "بريا" لعب دور في منتهى القذارة بتصفية البلاشفة الروس القدامى من خلال تليفق الاتهامات ←

على هذا السؤال بهذه الطريقة: نحن لم نستطع أن نفترض أن هؤلاء الناس يمكن أن يسقطوا الى الحضيض. و لكن هذا ليس تفسيراً مقبولاً و ناهيك عن كونه تبريراً، لأن غياب الانتباه يبقى حقيقة. كيف يمكن تفسير مثل هذا الخطأ؟ تفسير ذلك هو الاستخفاف الخاطئ بقوة وأهمية و آلية عمل الدول البرجوازية المحيطة بنا و وكالات الاستخبارات، التي تحاول استخدام ضعف الناس، و غرورهم، ضعف شخصيتهم⁽³⁾ من أجل ادخالهم في شبكات التجسس و موضعتهم في أجهزة الدولة السوفياتية. و يفسر كذلك بالتقليل من دور وأهمية آلية دولتنا الاشتراكية، والتقليل من اهمية مخابراتها، بثرثرة عن ان دور أجهزة الاستخبارات في الدولة السوفيتية – تافه و بسيط، و أن جهاز الاستخبارات السوفيتية والدولة السوفيتية في حد ذاتها قريباً سيتم ادخالها إلى متحف للآثار.

هذا الاستخفاف على أي أساس نشأ؟ لقد نشأ على أرضية القصور في فهم بعض الأحكام العامة للماركسية حول الدولة. و لاقت رواجاً بسبب التساهل غير المقبول بخصوص مسائل نظرية الدولة، على الرغم من أنه أصبح لدينا تجربة عقدين من النشاط في بناء الدولة، الذي يعطي مادة دسمة للتعميمات النظرية، لدينا فرصة اذا رغبتنا، لملى هذه الفجوة النظرية و بنجاح. لقد نسينا توجيهات لينين المهمة للغاية حول الواجبات النظرية للماركسين الروس، الهادفة إلى تطوير النظرية الماركسية. هذا هو ما قاله لينين في هذا الشأن:

→ الباطلة ضدهم بالعمالة و الارتباط و التجسس لجهات اجنبية معادية. و بعد ان انجز مهمته، التي اوكلتها اليه هيئات التجسس الأجنبية الامبريالية، قام اخيراً بتصفية ستالين نفسه من طريق السم كما يذكر مولوتوف في مذكراته. لم يكن اغتيال ستالين بوجود البلاشفة الروس القدامى ذو اهمية معتبرة للامبريالية في حينها. فقد ادركت الامبريالية، كما يبدو، ان تصفية ستالين بوجود جيش من هؤلاء البلاشفة لن تؤدي الى تصفية البلشفية. فحتماً سيظهر، عند إذن، قائد بلشفي قديم آخر للثورة الروسية بديل عن ستالين. فكان المطلوب تصفية هؤلاء البلاشفة اولاً ومن ثم تصفية ستالين. – ملاحظة الصوت الشيوعي.

٣ - هل من المعقول ان تكون شخصية قادة ثورة أكتوبر العمالية الاشتراكية الأعظم، من امثال تروتسكي و بوخارين، ضعيفة؟! – ملاحظة الصوت الشيوعي.

"نحن لا نعتبر نظرية ماركس كشيء منجز، لا يجوز انتهاك حرمة؛ على العكس من ذلك، نحن مقتنعون، أنها وضعت فقط حجر الأساس لعلم على الاشتراكيين أن يطوره في كل الاتجاهات إذا كانوا يرغبون في مواكبة الحياة. ونحن نعتقد انه على الاشتراكيين الروس ضرورة التنمية المستقلة لنظرية ماركس، لان هذه النظرية توفر المبادئ التوجيهية العامة فقط، والتي تخص إنجلترا بشكل مختلف مما تخص فرنسا، تخص فرنسا بشكل مختلف عن ألمانيا، و تخص ألمانيا بشكل مختلف عما في روسيا." (لينين، المؤلفات، المجلد الثاني، ص ٤٩٢)(٤)

لناخذ على سبيل المثال، الصيغة الكلاسيكية لنظرية الدولة الاشتراكية التي قدمها إنجلترا:

"عندما تزول الطبقات الاجتماعية، التي يجب اخضاعها، عندما لا يكون هناك هيمنة طبقة على أخرى والنضال من أجل الوجود، المتجذر في فوضى الإنتاج الحديث، عندما يتم القضاء على العنف و التصادمات الناتجة عن ذلك، لن يبقى هناك من يُقمع ويُردع، عندها تزول الحاجة إلى سلطة الدولة، التي تقوم الآن بهذه الوظيفة. الخطوة الأولى التي ستجعل الدولة ممثل حقيقي للمجتمع بأسره – تحويل وسائل الإنتاج إلى ملكية عامة – سيكون آخر عمل مستقل لها كدولة. تدخل سلطة الدولة في العلاقات الاجتماعية يصبح، شيئاً فشيئاً زائداً عن الحاجة و ينتهي من تلقاء نفسه. و بدلاً من ادارة الأفراد، تحل إدارة الأمور و إدارة عمليات الإنتاج. الدولة لا تُلغى بل تضمحل." (أنجلز، الانتي دوهرينغ، ١٩٣٣، ص ٢٠٢)

هل موقف أنجلز صحيح؟

نعم، هذا صحيح، ولكن بشرطين: أ) إذا نظرنا للدولة الاشتراكية من زاوية التنمية الداخلية للبلاد، وبصرف النظر عن العامل الدولي، عزلنا البلاد والدولة عن

٤ - "برنامنا" كتبت في النصف الثاني من عام ١٨٩٩. (ملاحظة للمترجم الى الانكليزية: هذه القطعة واحدة من اربعة مواد ظهرت في مقالات لـ "رابوتشايا جازيتا". - هامش موجود في النص الأصلي ترجمه واضافه الصوت الشيوعي الى هذه النسخة الالكترونية.

الوضع الدولي لتوفير ظروف مريحة للبحث و للدراسة؛ أو ب) إذا افترضنا أن الاشتراكية قد انتصرت في جميع البلدان او في معظم البلدان، و بدلا من الطوق الرأسمالي لدينا بيئة اشتراكية واضحة، لا وجود لخطر وقوع هجوم من الخارج، و ليس هناك حاجة إلى تعزيز الجيش والدولة.

لكن إذا كان انتصار الاشتراكية في بلد واحد فقط، من المستحيل تماما اهمال و غض النظر عن البيئة الدولية. كيف التصرف في هذه الحالة؟ صيغة انجلز لا تجيب على هذا السؤال. و لم يطرح إنجلز نفسه هذا السؤال، وبالتالي، فإنه لا يمكن أن يكون لدى انجلز جوابا على هذا السؤال. انجلز ينطلق من افتراض أن الاشتراكية قد انتصرت بشكل من الاشكال في جميع البلدان، أو في معظم البلدان في وقت واحد. و نتيجة لذلك، انجلز يبحث ليس حول هذه أو تلك من الدول الاشتراكية في بلد معين، بل تطور الدولة الاشتراكية بشكل عام، بافتراض انتصار الاشتراكية في معظم البلدان: لنفترض أن الاشتراكية انتصرت في معظم البلدان، فإن السؤال المطروح – ينبغي أن يكون ما هي التغييرات في هذه الحالة للدولة الاشتراكية البروليتارية. تعرض إنجلز فقط للطبيعة العامة و المجردة لهذه المسألة لدى دراسته مسألة الدولة الاشتراكية صارفا النظر عن عامل الظروف الدولية، و الوضع الدولي.

لكن يترتب على هذا، أنه من المستحيل تعميم الصيغة العامة لانجلز على مصير الدولة الاشتراكية و في الحالة المحددة، انتصار الاشتراكية في بلد واحد، محاط ببيئة رأسمالية، المعرض لخطر هجوم عسكري من الخارج، و الذي لا يمكنه بالتالي صرف النظر عن الوضع الدولي و الذي يجب ان يكون تحت تصرفه جيش مدرب جيدا، و أجهزة قمعية منظمة تنظيما جيدا، واستخبارات قوية. لذلك، يجب أن تكون له دولته القوية بما يكفي، القدرة على الدفاع عن انجازات الاشتراكية في وجه هجوم أجنبي.

لا يمكن الطلب من كلاسيكي الماركسية الذين تفصلهم عن زماننا فترة ٤٤ - ٤٥ سنة، أن يتنبؤوا بكل متعرجات التاريخ في كل بلد و في المستقبل البعيد. و سيكون من السخف الادعاء بأن كلاسيكي الماركسية وضعوا لنا حلولا جاهزة لكل مشكلة نظرية قد تنشأ في كل بلد بعد ٥٠ - ١٠٠ سنة، بحيث يتمكن احفاد كلاسيكي الماركسية من النوم على الحرير و اجتراح الحلول الجاهزة. و لكن يمكننا ويجب علينا أن نطالب الماركسين اللينينيين المعاصرين، أن لا يقتصروا على حفظ عدد قليل من المبادئ العامة للماركسية، أن ينقبوا في جوهر الماركسية، و أن يتعلموا الأخذ في عين الاعتبار تجربة عشرين عاما من وجود دولة اشتراكية في بلدنا، وأن يتعلموا، في نهاية المطاف، ارتكازا على هذه التجربة وعلى جوهر الماركسية، بلورة المبادئ العامة للماركسية وصقلها وتحسينها. كتب لينين كتابه الشهير "الدولة و الثورة" في آب ١٩١٧، أي قبل بضعة أشهر من ثورة أكتوبر و إنشاء الدولة السوفيتية. المهمة الرئيسية لكتاب لينين هذا، هي حماية تعاليم ماركس و إنجلز من التشويه والابتذال من قبل الانتهازيين. لينين كان على وشك كتابة الجزء الثاني من "الدولة و الثورة"، مخططا ايراد النتائج الرئيسية لتجربة الثورتين الروسييتين عام ١٩٠٥ و عام ١٩١٧. لا يمكن أن يكون هناك شك في أن لينين، في الجزء الثاني من كتابه، كان يهدف لتطوير و تحليل نظرية الدولة استنادا إلى تجربة السلطة السوفياتية في بلدنا. لكن الموت منعه من أداء هذه المهمة. و لكن ما لم يتمكن لينين من القيام به، يجب أن يفعله تلاميذه.

نشأت الدولة نتيجة لانقسام المجتمع إلى طبقات متناحرة، نشأت من أجل سيطرة الأقلية المستغلة على الأغلبية المستغلة. ادوات سلطة الدولة تركزت بشكل رئيسي في الجيش و الأجهزة القمعية و المخابرات و السجون. وظيفتين أساسيتين تميز نشاط الدولة: داخلية (الاساسية) - السيطرة على الأغلبية المستغلة، و خارجية (و ليست اساسية) لتوسيع أراضيها، لمصلحة الطبقة الحاكمة على حساب دول أخرى، أو لحماية أراضي الدولة من الهجمات من قبل الدول الأخرى. كان هكذا هو الحال تحت نظام الرق و الإقطاع. و هذا هو الحال في ظل الرأسمالية.

من أجل إسقاط الرأسمالية، كان من الضروري ليس فقط إزاحة البرجوازية عن السلطة، و ليس فقط مصادرة املاك الرأسماليين، و لكن أيضا السحق التام لآلة الدولة البرجوازية و جيشها القديم، الجهاز البيروقراطي و الشرطة التابعة لها، و احلال جهاز بروليتاري جديد و دولة اشتراكية جديدة مكانها. هذا بالضبط ما فعله البلاشفة كما نعلم، و لكن هذا لا يعني أن الدولة البروليتارية الجديدة لا تحافظ على بعض وظائف الدولة القديمة، محورة حسب احتياجات الدولة البروليتارية. لكن هذا لا يعني أن شكل دولتنا الاشتراكية يجب أن يبقى دون تغيير، و أن جميع الوظائف الأصلية لدولتنا يجب الحفاظ عليها بالكامل في المستقبل. في الواقع، فإن شكل دولتنا يتغير و سوف يتغير تبعا لتطور بلدنا و التغيرات في البيئة الخارجية.

كان لينين على حق تماما عندما قال:

"أشكال الدول البرجوازية متنوعة للغاية، و لكن جوهرها بطريقة أو بأخرى هو واحد فقط، في نهاية المطاف هي حتما ديكتاتورية البرجوازية. الانتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية بالتأكيد لا يمكن إلا أن يسفر عن كم هائل و متنوع من الأشكال السياسية، إلا أن جوهره حتما هو ديكتاتورية البروليتاريا". (لينين، المؤلفات، المجلد ٢١، ص ٣٩٣)^(٥)

منذ ثورة أكتوبر، دولتنا الاشتراكية مرت في تطورها عبر مرحلتين أساسيتين.

المرحلة الأولى - هي الفترة من ثورة أكتوبر الى القضاء على الطبقات المستغلة. و كانت المهمة الرئيسية لهذه الفترة قمع مقاومة الطبقات المطاح بها، تنظيم الدفاع عن البلاد ضد التدخل الاجنبي، ترميم الصناعة و الزراعة، و إعداد الظروف للقضاء على العناصر الرأسمالية. و تمشيا مع هذا، قامت الدولة في هذه الفترة بوظيفتين رئيسيتين. الوظيفة الأولى - قمع الطبقات المطاح بها داخل البلاد. دولتنا اصبحت مشابهة من الخارج للدول السابقة، التي كانت وظيفتها قمع

^٥ - "الدولة والثورة"، من آب الى أيلول ١٩١٧. - هامش موجود في النص الأصلي ترجمه واضافه الصوت الشيوعي الى هذه النسخة الالكترونية.

المتمردين، مع فرق اساسي هو أن دولتنا قمعت الأقلية الاستغلالية لصالح الأغلبية الكادحة، في حين قمعت الدول السابقة الأغلبية المستغلة لصالح الأقلية الاستغلالية. الوظيفة الثانية – الدفاع عن البلاد في وجه الهجمات الخارجية. وهذا هو أيضا يذكرنا شكليا بالدول السابقة، والتي مارست أيضا الدفاع المسلح عن بلدانها، و مع ذلك، فإن الفرق الأساسي هو أن دولتنا دافعت عن مكاسب الأغلبية الكادحة في وجه هجوم أجنبي، بينما دافعت الدول السابقة في مثل هذه الحالات عن ثروة وامتيازات الأقلية الاستغلالية. كانت هناك أيضا وظيفة ثالثة – تنظيم العمل الاقتصادي و العمل الثقافي – التعليمي لأجهزة الدولة، بهدف تطوير براعم اقتصاد اشتراكي جديد وإعادة تربية الناس على روح الاشتراكية. ولكن هذه الوظيفة الجديدة لم تحظى في هذه الفترة بتطور جدي.

المرحلة الثانية – الفترة من القضاء على العناصر الرأسمالية في المدينة و الريف إلى النصر الكامل للنظام الاقتصادي الاشتراكي واعتماد الدستور الجديد. المهمة الرئيسية لهذه الفترة – تنظيم الاقتصاد الاشتراكي في جميع أنحاء البلاد و القضاء على آخر بقايا العناصر الرأسمالية، و تنظيم الثورة الثقافية، و تنظيم جيش عصري للدفاع عن البلاد. و تمشيا مع هذا، تغيرت وظائف الدولة الاشتراكية. سقطت وظيفة القمع العسكري داخل البلاد، لانه تم سحق الاستغلال، لم يعد هناك مستغلين و لا يوجد من يجب قمعه. بدلا من وظيفة القمع، ظهرت وظيفة جديدة للدولة هي حماية الملكية الاشتراكية من اللصوص و الناهبين لخير الوطن. وظيفة الدفاع عن البلاد من هجوم أجنبي فتم الحفاظ على الدولة^(٦)، و تم الحفاظ على الجيش الأحمر

^٦ - يتضح هنا ان النظريات التحريفية التي وضعها الخائن خروشوف وسار على نهجها من بعده عصابة بريجينيف – كوسيجن – بودغورني، والتي تقول بعدم وجود الطبقات والصراع الطبقي في المجتمع الاشتراكي، قد قامت على خلفية التفكير الخاطيء لستالين نفسه حول هذه المسألة بالذات. يكمن الفرق بين خروشوف وستالين في ان الاول ينطلق من اللا طبقية المزعومة للمجتمع الاشتراكي لينادي بالغاء ديكتاتورية البروليتاريا، في حين ينادي ستالين باستمرار ديكتاتورية البروليتاريا وتقويتها لا لقمع العدو الطبقي الداخلي، بل اساسا للتصدي للعدو الخارجي المتمثل بالامبريالية العالمية وجوايسها والمخربين الذين ترسلهم الى الاتحاد السوفيياتي بقصد تدميره، اضافة لقمع لصوص القطاع الاشتراكي ومختلسي اموال الدولة

و البحرية، فضلا عن أجهزة القمع والاستخبارات الضرورية لكشف ومعاينة الجواسيس، القتل والمخربين الذين تم ارسالهم إلى بلدنا من قبل هيئات التجسس الأجنبية. تم الحفاظ و حصلت على التنمية التامة هيئات الدولة للتنظيم الاقتصادي والعمل الثقافي التربوي. الآن المهمة الرئيسية لدولتنا داخل البلاد هي التنظيم السلمي للاقتصاد والعمل الثقافي والتربوي. بخصوص الجيش و أجهزة القمع و الاستخبارات، فاصبحت قدرتها موجهة ليس إلى داخل البلاد بل الى الخارج، ضد الأعداء الخارجيين^(٧).

كما ترون، لدينا الآن دولة جديدة تماما، دولة اشتراكية، لم يسبق لها مثل في التاريخ، و مختلفة بشكل كبير في الشكل و الوظيفة عن المرحلة الأولى للدولة اشتراكية.

ولكن التنمية لا يمكن أن تتوقف. نحن نسير الى الامام إلى أبعد من ذلك، نحو الشيوعية.

هل سوف تبقى دولتنا في الفترة الشيوعية؟

نعم، ستبقى، ما لم يتم تصفية الطوق الرأسمالي، ما لم يتم القضاء على خطر وقوع هجوم عسكري من الخارج، على أن يكون مفهوما أن أشكال دولتنا سوف تتغير مرة أخرى وفقا للتغيرات في البيئة الداخلية والخارجية.

لا، لن تبقى وسوف تذوي إذا تم تصفية الطوق الرأسمالي، إذا تم استبداله بطوق اشتراكي.

هذا هو الحال مع مسألة الدولة الاشتراكية.

والسراق واعداء النظام والقانون والإرهابيين الفرديين وكل هؤلاء، بحسب ستالين، غير طبقيين!! – ملاحظة الصوت الشيوعي. التشديد بالخط العريض من الصوت الشيوعي بالنظر لأهمية النص.

^٧ - لم يكن هذا الزعم واقع الحال! فقد كان القمع الداخلي عملا اساسيا للدولة السوفييتية خلال كل عهد ستالين. – ملاحظة الصوت الشيوعي.

المسألة الثانية – هو مسألة الإنتيليجنسيا السوفياتية.

في هذه المسألة، مثل ما في مسألة الدولة، هناك في حزبنا بعض الغموض و التشوش.

على الرغم من أن موقف الحزب واضح تماما بشأن مسألة الإنتيليجنسيا السوفياتية، ما زالت منتشرة في حزبنا وجهات نظر معادية للإنتيليجنسيا السوفياتية، وجهات نظر تتعارض مع موقف الحزب. حَمَلَة هذه الآراء، كما هو معروف، يقومون بممارسات خاطئة طابعها الازدراء تجاه الإنتيليجنسيا السوفياتية، معتبرينها قوة غريبة، بل ومعادية للطبقة العاملة و الفلاحين. في الحقيقة الإنتيليجنسيا في فترة التنمية السوفيتية تغيرت جذريا سواء في تكوينها او في مكانتها، لتقترب من الناس وتتعاون بصدق معهم، مما يبرز اختلافها الجذري عن الإنتيليجنسيا البرجوازية القديمة. ولكن هؤلاء الرفاق، على ما يبدو، لا يهتمهم ذلك. لقد استمروا في عزف الالحن القديمة، ناقلين بطريقه غير سليمة المواقف و وجهات النظر التي كان لها ما يبررها في الايام الخوالي عندما كانت الإنتيليجنسيا في خدمة الملاك و الرأسماليين.

قديمًا ما قبل الثورة، في ظل الرأسمالية، كانت الإنتيليجنسيا تتكون أساسًا من أفراد الطبقات المالكة – النبلاء واصحاب المصانع والتجار والكولاك، وهلم جرا. و كذلك كان بينهم أفراد من الطبقة الوسطى، صغار الموظفين وحتى الفلاحين والعمال، لكنهم لم يلعبوا ومن غير الممكن ان يلعبوا دورا حاسما. الإنتيليجنسيا بشكل عام خدمت و كانت تأكل من على مائدة الطبقات المالكة. و لذلك فمن المفهوم عدم الثقة، و في كثير من الأحيان الكراهية التي كانت العناصر الثورية في بلادنا، وخصوصا العمال تضمرها تجاههم. صحيح، أن الإنتيليجنسيا القديمة انجبت بعض الثوريين و عشرات من الجريئين الذين وقفوا الى جانب الطبقة العاملة و الذين ربطوا مصيرهم مع مصير الطبقة العاملة الى النهاية. و لكن مثل هؤلاء كانوا اقلية جدا، و أنهم لا يمكن أن يغيروا وجه الإنتيليجنسيا بشكل عام.

تغير الامر بعد ثورة اكتوبر بشكل جذري، بعد هزيمة التدخل العسكري الأجنبي، وخاصة بعد نجاح مشاريع التصنيع و تأسيس التعاونيات، عندما تم القضاء على الاستغلال و تجذر النظام الاقتصادي الاشتراكي ، الذي اعطى فرصة حقيقية لإقرار دستور جديد. القسم الأكثر تأثرا والمؤهلين من الإنتيليجنسيا القديمة، في الأيام الأولى لثورة أكتوبر انفصلت عن البقية، و أعلنت الحرب على الحكومة السوفياتية و انضمت إلى المخربين. لهذا استحقت العقاب، هزمتها و فرقتهأ أجهزة السلطة السوفياتية. و في وقت لاحق، تم تجنيد معظم الناجين منهم كمخربين وجواسيس، وبالتالي حذفوا أنفسهم من صفوف الإنتيليجنسيا. جزء آخر من الإنتيليجنسيا القديمة، الأقل كفاءة و لكن أكثر عددا، قضت وقتا طويلا في انتظار "أوقات أفضل"، و لكن بعد ذلك، قررت التخلي عن الانتظار و أن تعمل و تتعايش مع السلطة السوفياتية. جزء كبير من هؤلاء شاخ و انسحب من العمل. الجزء الثالث من الإنتيليجنسيا القديمة، الجزء الأقل مهارة انضم إلى الشعب و ايد السلطة السوفياتية. كان عليها أن تكمل تعليمها، و فعلا اكملت دراستها في جامعاتنا. ولكن جنبا إلى جنب مع هذه العملية المؤلمة للتمايز و تصدع الإنتيليجنسيا القديمة، كانت هناك عملية سريعة لتشكيل و تعبئة و تجميع قوة الإنتيليجنسيا الجديدة. ، دخل الى الجامعات والمعاهد الفنية، مئات الآلاف من الشباب العمالي و الفلاحي و ابناء المثقفين الكادحين، وبعد انهاءهم للدراسة، انضموا الى صفوف الإنتيليجنسيا، ضاخين دماءً جديدة معيدين إحياء الإنتيليجنسيا بشكل جديد، بشكل سوفياتي. لقد غيروا جذريا شكل و تركيبة الإنتيليجنسيا . أما من تبقى من الإنتيليجنسيا القديمة فلقد ذابت في أعماق الإنتيليجنسيا الشعبية السوفياتية الجديدة. وبالتالي تم خلق انتيليجنسيا سوفياتية جديدة، مرتبطة ارتباطا وثيقا مع الشعب و جاهزة لخدمته بإخلاص.

نتيجة لذلك، لدينا الآن إنتيليجنسيا كبيرة و جديدة، إنتيليجنسيا شعبية و اشتراكية، تختلف جوهريا عن الإنتيليجنسيا البرجوازية القديمة سواء في تكوينها او في طابعها الاجتماعي والسياسي.

إنتيليجينسيا ما قبل الثورة، القديمة، التي خدمت الملاك والرأسماليين، تناسبها تماما النظرية القديمة التي تشير إلى الحاجة إلى عدم الثقة بها ومحاربتها. الآن هذه النظرية شاخت، و لم تعد مناسبة لإنتيليجينسيتنا الجديدة السوفياتية. الإنتيليجينسيا الجديدة بحاجة إلى نظرية جديدة تحمل مواقف ودية و تسعى إلى العناية بها و احترامها والتعاون معها لصالح الطبقة العاملة والفلاحين.

الامر يبدو واضحا.

من أكثر ما يثير الدهشة والغرابة أن بعد كل هذه التغييرات الأساسية في وضع الإنتيليجينسيا، لا يزال هناك في حزبنا، كما تبين، اناس يحاولون تطبيق نظرية قديمة موجهة ضد الإنتيليجينسيا البرجوازية، تجاه الإنتيليجينسيا السوفياتية الجديدة، التي تعتمد أساسا على الفكر الاشتراكي. هؤلاء الناس، كما تبين، يجادلون بأن العمال و الفلاحين الذين حتى وقت قريب كانوا يعملون في المصانع و المزارع الجماعية، و من ثم إرسلوا إلى الجامعات للتعلم، توقفوا عن كونهم أناس حقيقيين، وأصبحوا مواطنين من الدرجة الثانية. اذن فأن التعليم – شيء خبيث وخطير. نحن نريد أن نجعل جميع العمال و الفلاحين، مثقفين و متعلمين، ونحن سوف نفعل ذلك مع مرور الزمن. ولكن من وجهة النظر الغريبة لهؤلاء الرفاق يتبين أن هذا المخطط محفوف بخطر كبير، لأنه بعد ان يصبح العمال و الفلاحين مثقفين و متعلمين سيواجهون خطر اعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية. و من الممكن أنه مع مرور الوقت هؤلاء الرفاق الغرباء سينحدرون إلى درجة تمجيد التخلف والجهل، الظلام و الظلامية. ومن المفهوم ان الالتواءات النظرية لم تقد أبدا ولا يمكن أن تقود إلى الخير.

هذا هو الحال فيما يتعلق بإنتيليجينسيتنا الجديدة الاشتراكية.

مقطف من التقرير السياسي المقدم إلى المؤتمر الثامن

عشر للحزب الشيوعي السوفياتي

العاشر من اذار ١٩٣٩